

سلسلة: كِتَابُ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ

رحلة متكاملة في آفاق القرآن الكريم — علماً وحكمةً وكوناً



حِكْمٌ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ الجزء الأول



تأملات في قوانين الحياة

المودعة في كلام الله

من الفاتحة إلى الناس

الدكتور خالد عبدالنعم فندي

Honest Fendy Innovations | مخترع وريادي بيئي

أسوان — مصر ◆ 1446 هـ / 2026 م

إهداء



إلى أبي سلمان أحمد العنزي

الذي يغمرني بكرمه

...ويقرأ عليّ كتي

فأحبّها أكثر

جزاك الله خيراً يا أبا سلمان

سلسلة: كِتَابُ أُحْكَمَتْ آيَاتُهُ



الجزء الأول — حَكْمٌ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ | بين يديك الآن

قوانين الحياة والسلوك والقدر — آيات التدبير الوجودي

الجزء الثاني — السماء ذات الرجوع | قريباً

فيزياء الكون في القرآن الكريم — آيات العلم والاكتشاف

الجزء الثالث — الفتق والرتق | قريباً

الفلسفة والغيب — حيث يقف العلم ويبدأ الإيمان

الجزء الرابع — تحت الإعداد | إن شاء الله

بسم الله الرحمن الرحيم



وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٧﴾ — سورة القمر — الآية ١٧ ﴿١٧﴾

مقدمة المؤلف



ليس هذا كتاب تفسير، ولا هو شرح للمفردات أو استدلال للأحكام

هو جلسة تدبر بين قلب يتأمل وكتاب لا تنقضي عجائبه

في كل آية يختارها هذا الكتاب، قانونٌ من قوانين الوجود — أودعه الخالق في كلامه ليكون دستور
كل زمان ومكان وإنسان.

هذا الجزء الأول من سلسلة "كِتَابُ أَحْكَمَتِ آيَاتِهِ" — رحلة ستمتد عبر أجزاء متعاقبة تتناول القرآن
الكريم حكمةً وعلمًا وفلسفةً وكونًا.

اقرأ ببطء. تأمل بعمق. وادعُ الله أن يفتح قلبك.

المؤلف

د. خالد عبدالنعم فندي

أسوان — مصر

فهرس المحتويات



الفصل الأول — الفاتحة والبقرة — البداية والأساس

- ﴿ القانون الأول : قانون العبادة والاستعانة — ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ
- ﴿ القانون الثاني : قانون الطلب الأعظم — ﴿اهدنا الصراط المستقيم
- ﴿ القانون الثالث : قانون الرادع الحي — ﴿ولكم في القصاص حياة
- ﴿ القانون الرابع : قانون ببيان الإرادة — ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ

الفصل الثاني — النمل والإنسان — قوانين التوكل والمشية

- ﴿ القانون الخامس : قانون فرح الحياة — ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَا
- ﴿ القانون السادس : قانون المسألة الكاملة — ﴿وما تشاؤون إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ

الفصل الثالث — الإسراء والكهف والانشراح — قوانين السلوك والتوازن

- ﴿ القانون السابع : قانون دوح المرح — ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا
- ﴿ القانون الثامن : قانون التبيين الواضع أمام العثرة — ﴿ولا تقولنَّ لشيءٍ إِيَّايَ فَاعِلٌ
- ﴿ القانون التاسع : قانون التوافر الإيجابي — ﴿ولا تمش في الأرض مرحًا

الفصل الرابع — البقرة والذاريات والنجم — قوانين القدر والغاية والسعي

- ﴿ القانون العاشر : الحكمة الإلهية — ﴿وعسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا
- ﴿ القانون الحادي عشر : قانون كونيّة الحياة — ﴿وما الحياة الدنيا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ
- ﴿ القانون الثاني عشر : قانون السعي الخالد — ﴿ليس للإنسان إِلَّا مَا سَعَى

الفصل الخامس — الانشراح والعصر — قوانين الزمن والاستمرار

- ﴿ القانون الثالث عشر : قانون الاستمرار الدائم — ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ
- ﴿ القانون الرابع عشر : قانون الزمن الحَكَمَ — ﴿والعصر إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خَسِرٍ

الفصل الأول ♦ الفاتحة والبقرة

البداية والأساس



الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ — سورة الفاتحة: ٢ ﴿٢﴾



"كل رحلة تبدأ بخطوة. وكل كتاب يبدأ بفاتحة. ولم يكن من المصادفة أن يبدأ القرآن الكريم بـ"الفاتحة فهي ليست مجرد سورة افتتاحية، بل هي منهج حياة مضغوط في سبع آيات. ثم تأتي البقرة لتبني — فوق هذا الأساس، فتضع قوانين الوجود الإنساني قانوناً قانوناً

، في هذا الفصل نقف أمام أربعة قوانين من أعمق ما أودع الله في كتابه: قانون العبادة والاستعانة وقانون الطلب الأعظم، وقانون الرادع الحي، وقانون بنيان الإرادة. كل قانون منها كافٍ وحده لأن يغيّر حياة إنسان إذا فهمه وعاش به.

القانون الأول

قانون العبادة والاستعانة



إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ — سورة الفاتحة: هـ



إذا كانت الفاتحة هي قلب القرآن، فهذه الآية هي قلب الفاتحة. آية واحدة تحمل في طياتها فلسفة حياة . كاملة — في ستة كلمات

التقديم يفيد الحصر

قال اللغويون والمفسرون: تقديم المفعول على الفعل في العربية يفيد الحصر والتخصيص. فلم يقل النص: نعبدك "فحسب — بل قدم "إِيَّاكَ" فجاء المعنى: لا نعبد إلا إِيَّاكَ وحدك، ولا نستعين إلا بك وحدك"

تأمل | أنت عندما تقول "إِيَّاكَ نعبد" تطلق إعلان الحرية الكبرى — أنك لن تعبد خوفاً، ولا طمعاً، ولا ◆ مجتمعةً، ولا سلطاناً. هذا هو التحرر الوجودي الأعظم.

التوازن المعجز: العبادة والاستعانة

لم يقل القرآن: "إِيَّاكَ نعبد" فقط، بل ضمَّ إليها: "وَإِيَّاكَ نستعين". وفي هذا التوازن حكمة عميقة

العبادة بدون استعانة: كبرياء في الطاعة — كمن يقول: أنا قادر على العبادة بنفسني

الاستعانة بدون عبادة: ضعف بلا علاقة — كمن يطلب المعونة من إله لا يعبد

أما الجمع بينهما — فهو القانون الذي تقوم عليه العلاقة بين العبد وربّه

قانون الحياة المستخرج من هذه الآية

هذه الآية تضع أمامك قانوناً ثنائياً للنجاح في كل شيء

أعزم وتوكل. أعمل وادع. ابذل واستعن. لا تكسل باسم التوكل، ولا تغتر باسم العمل. «تعالى الله - مستخرج»

من مفهوم الجمع بين العبادة والاستعانة

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "إياك نعبد" تدفع الرياء، و"إياك نستعين" تدفع الكبر. فمن حقق العبادة الخالصة وطلب الاستعانة الصادقة - سقطت عنه أكبر آفتين تفسدان العمل

في ضوء علم النفس الحديث

يتحدث علماء النفس عن مفهوم "الإسناد الخارجي" و"الإسناد الداخلي" - أي هل الإنسان يرى نجاحه وفشله نابغاً منه أم من قوة خارجية؟ والتوازن النفسي الصحي يجمع الاثنين: أنا أبذل جهدي (إياك نعبد) وأستند إلى قوة أعلى مني (إياك نستعين)

♦ تأمل | القرآن لم ينتظر علم النفس الحديث ليكتشف هذا التوازن. قاله قبل 14 قرناً في ستة كلمات

من كان عباده لله وحده، واستعانته بالله وحده، ومحبه لله وحده - فقد حقق كمال التوحيد". - ابن تيمية

رحمه الله

القانون الثاني

قانون الطلب الأعظم



اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١﴾ — سورة الفاتحة: ٦ ﴿٢﴾



يُقرأ القرآن الكريم في كل صلاة أكثر من مليار إنسان. وفي كل ركعة تُتلى الفاتحة. وفي كل فاتحة يُرَدَّد هذا الدعاء: "اهدنا الصراط المستقيم". أي أن هذا الدعاء يُرفع إلى الله أكثر من عشرة مليارات مرة كل يوم على وجه الأرض.

لماذا؟ لأن الهداية هي أعظم النعم — ولأن الإنسان يحتاجها في كل لحظة.

ما الهداية التي نطلبها؟

قال المفسرون: الهداية في القرآن مراتب

الأولى — الهداية العامة: هداية الفطرة والعقل التي منحها الله لكل إنسان.

الثانية — هداية الدلالة: معرفة الطريق — أن تعلم أين الصواب.

الثالثة — هداية التوفيق: أن تسلك الطريق الصواب فعلياً — وهذه لا يملكها إلا الله.

وهذه الثالثة هي التي ندعو بها، لأن كثيراً ممن يعرفون الصواب لا يفعلونه. اهدنا "ليس طلب معلومة

بل طلب قدرة وتوفيق وتسييد —

لماذا نطلب الهداية ونحن مهتدون؟

قد يقول قائل: المسلم الذي يصلي يعرف دينه ويُقيم الصلاة — فلماذا يطلب الهداية مجدداً؟ والجواب

عميق: لأن الهداية ليست حالة جامدة تمتلكها مرة واحدة، بل هي مسار متجدد في كل لحظة.

القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء » ﷺ - رواه مسلم «

القلب يتقلب. والإنسان يحتاج في كل يوم تثبيتاً جديداً على الصراط. دعاء الهداية في كل ركعة هو إقرار بالحاجة، وتواضع أمام الله، وطلب استمرارية.

"صراط" - ليس "طريق"

لفظ "صراط" في العربية يدل على الطريق الواسع الممتد - بخلاف "سبيل" التي قد تدل على شعبة أو فرع. استخدام "الصراط" يدل على أن الهداية التي نطلبها ليست هداية ضيقة في جانب دون جانب، بل هداية شاملة لكل أبعاد الحياة.

تأمل | أعظم ما يمكن أن تطلبه من الله في دعائك - هو ما يطلبه منه أكثر المؤمنين عدة مرات في اليوم. فلا ♦ تستهن بهذا الدعاء.

من أراد أن يختصر الدين كله في كلمة - فهي: اهدنا. ومن أراد أن يختصر الدنيا كلها في طلب - فهو:

الصراط المستقيم". - معنى مستخلص من أقوال العلماء

القانون الثالث

قانون الرادع الحي



وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٧٩﴾ — سورة البقرة: ١٧٩ ﴿١﴾



هذه الآية واحدة من أكثر الآيات ذكاءً من الناحية البلاغية في القرآن كله. قال العرب قبل الإسلام: القتل أنفى للقتل — أي قتل المعتدي يمنع القتل الأوسع. فجاءت هذه الآية بصياغة أعمق وأدق: ليس القتل هو الذي يمنع القتل — بل القصاص بما فيه من الردع هو الذي يُعطي الحياة.

العدالة كأداة حياة

القانون الذي تستخرجه من هذه الآية ليس فقط فقهياً — بل وجودي اجتماعي. المجتمع الذي لا عدالة فيه لا يعيش — قد يتحرك ظاهرياً، لكنه ميّت من الداخل. أما المجتمع الذي تسود فيه العدالة فهو المجتمع الحي حقاً —

، العلم الحديث يقول: المجتمعات التي تفتقر إلى نظام عدالة رادع تعاني من انهيار الثقة الاجتماعية وارتفاع معدلات الجريمة، وتفكك النسيج الاجتماعي. بينما المجتمعات ذات القضاء العادل تخفض فيها الجريمة وترتفع جودة الحياة.

نداء العقول

لاحظ ختم الآية: "يا أُولِي الْأَلْبَابِ" — نداء لأصحاب العقول الراسخة. هذا الحكم ليس للعواطف الآنية بل هو للمتأمل الذي يرى بعيداً. من يرى بعيداً يعلم أن رافة لحظية بالمعتدي قد تساوي ظلماً أبدياً — لضحايا قادمين.

تأمل | "في القصاص حياة" — هذه المعادلة تقول: العدل ليس قسوة، بل هو أرحم أشكال الرحمة للمجتمع ♦
كله.

لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعن يدها « سَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ » — متفق عليه — دليل على أن العدالة فوق كل اعتبار »

تطبيق القانون في الحياة اليومية

هذا القانون لا يعني فقط القصاص بمفهومه الفقهي — بل يحمل درساً حياتياً أعمق: الحدود الواضحة في العلاقات، والمساءلة الحقيقية في المؤسسات، والعواقب المنطقية للسلوك — كلها ضرورة للحياة السليمة.
عدم المساءلة لا يُسمى رحمة — بل هو قتل بطيء للحق.

القانون الرابع

قانون بنيان الإرادة



كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ - سورة البقرة: ١٨٣



وُصِفَتْ هذه الآية بأنها "دستور الإرادة" - لأنها لا تأمر بالصيام فحسب، بل توضح هدفه الأعمق: بناء التقوى. والتقوى ليست مجرد ورع ديني - بل هي قدرة الإنسان على ضبط نفسه وقيادته إرادته نحو ما ينبغي.

الصيام كمختبر للإرادة

أثبت علم الأعصاب الحديث أن الإرادة عضلة - إذا تدرّبت عليها قوّيت، وإذا أهملتها ضعفت. والصيام هو أدق تمرين لهذه العضلة: تتوقف عن الأكل والشرب والشهوات ليس لأنك لا تستطيع. بل لأنك اخترت ذلك لأجل غاية أعلى. وهذه بالضبط هي التقوى: أن تملك القدرة على الفعل، وتختار الامتناع عنه لأن الله أمر.

"كما كُتِبَ على الذين من قبلكم"

هذه الجملة تقدّم لنا معلومة علمية تاريخية مذهلة: الصيام ليس حكراً على الإسلام - بل هو قانون روحي عرفته الإنسانية عبر الحضارات. من الصوم المسيحي في الأربعين المقدسة، إلى صوم يوم الغفران اليهودي، إلى الصيام في الحضارات الشرقية القديمة - كل الأديان عرفت أن الجسد يحتاج أحياناً إلى السيطرة على شهواته ليرتفع.

تأمل | الصيام في القرآن ليس عقوبة — بل هو مشروع تحرر. تحرر من الشهوة، ومن العادة، ومن عبودية الجسد لنفسه.

لماذا رمضان بالذات؟

قال العلماء: رمضان شهر القرآن — أنزل فيه القرآن. وهكذا يجتمع في هذا الشهر قانونان من أعظم قوانين التربية الإنسانية: الجوع الذي يُذكر بالفقراء ويُصَفِّي العقل، والقرآن الذي يُغذِّي القلب ويرسم الطريق.

أصعب ما في الإنسان ترويضه: نفسه. والصيام هو مدرسة الترويض الكبرى". — حكمة مستخلصة من المعنى القرآني

الفصل الثاني ♦ النمل والإنسان

قوانين التوكل والمشية



أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴿٦٣﴾ — سورة النمل: ٦٣ ﴿٦٤﴾



يُعدّ هذا الفصل من أعمق فصول الكتاب — لأنه يتناول أشدّ لحظات الإنسان حاجةً وأكثرها صدقاً لحظة الاضطرار. وحين يكون الإنسان في قمة اضطراره، تتجلى له قوانين التوكل والمشية بوضوح لا تراه في أيام الرخاء.

القانون الخامس

قانون فرح الحياة



أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴿٦٢﴾ — سورة النمل: ٦٢



هذه الآية تطرح سؤالاً بلاغياً محيراً. إنها لا تقول: "الله يُجيب المضطر" — بل تقول: "أَمَّنْ يُجيب المضطر؟" كأنها تتحدى السامع: فكّر، مَنْ يملك هذه القدرة غير الله؟ وحين لا يجد المرء جواباً — يكون الإقرار بالله إقراراً نابعاً من العقل، لا من التلقين.

المضطرّ — أكثر الناس قرباً من الله

المضطرّ "في اللغة: من بلغ به الضرر حداً يلجئه إلى طلب الفرج. وهذا يعني: أن أقرب الناس إلى الله" استجابةً هو الأشد اضطراباً. وهنا تكمن حكمة عجيبة: ربما كان البلاء في حياتنا هو أفضل ما يُقربنا من الله.

قال ابن عطاء الله السكندري: "ربما فتح لك باب الطاعة ولم يفتح لك باب القبول، وربما ابتلاك فكان ذلك سبباً لوصولك".

ويكشف السوء — الإجابة العملية

لم تقل الآية: "يُخبره أنه سيُجيبه" — بل: "ويكشف السوء". الإجابة عملية فعلية، ليست وعداً نظرياً. هذا الكشف قد يكون فورياً، وقد يكون عبر مراحل — لكنه حتمي لمن صدق في دعائه.

تأمل | أشد اللحظات ظلاماً هي بالضبط اللحظة التي يكون فيها فجر الإجابة أقرب ما يكون ◆

ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاءً من قلب غافل لاهٍ ﴿٢٠٠﴾ - رواه

الترمذي

تطبيق القانون في الأزمات

يُعَلِّمُنَا هذا القانون: أن الأزمة ليست نهاية - بل هي بوابة. فحين يضيق عليك كل طريق، وتنسد كل أبواب الحل البشري - فهذه اللحظة بالذات هي اللحظة التي يفتح فيها باب السماء أوسع ما يكون.

القانون السادس

قانون المشيئة الكاملة



وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴿٢٩٠﴾ — سورة التكاوير: ٢٩٠



هذه الآية تضع أمام الإنسان إحدى أكثر المعادلات الوجودية تعقيداً وأكثرها راحةً في آن واحد:
الإنسان يشاء — لكن مشيئته محاطة بمشيئة الله.

ليس إلغاءً للإرادة

أكثر ما يُسأل عنه في هذه الآية: هل تعني أن الإنسان لا إرادة له؟ والجواب: لا. الآية قالت "وما تشاءون" — إثبات لمشيئة الإنسان. ثم أضافت "إلا أن يشاء الله" — بيان لمحيطها. كالسفينة التي تتحرك بحركتها الخاص داخل بحر واسع — للسفينة حركة حقيقية، لكن البحر هو المحيط.
هذا هو مذهب أهل السنة: الإنسان له إرادة واختيار حقيقي، وهو مسؤول عن اختياراته — لكن هذه الإرادة مندرجة في إرادة الله الكونية.

القانون العملي: ابذل ثم سلم

الراحة النفسية الحقيقية تأتي حين تفهم هذا القانون فهماً صحيحاً: أنت مطالب بكامل الجهد والتخطيط والإتقان — ثم مطالب بكامل التسليم والتوكل. أن تحزن على نتيجة بذلت فيها جهدك — هذا مقبول. أن تتحسّر وتنهار — هذا يعني أنك نسيت أن المشيئة الكبرى تعلو على مشيئتك.

تأمل | أجمل ما في هذا القانون أنه يُعطيك الحرية والمسؤولية، ويحرّرك من ثقل السيطرة على النتائج. افعل ما ◆
عليك — وثق بما على الله.

التوكل ليس كسلاً - بل هو أن تبلغ غاية الجهد ثم تنام مطمئناً. - من حكم التوكل

الفصل الثالث ♦ الإسراء والكهف والانشراح

قوانين السلوك والتوازن



فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ — سورة الانشراح: ٥



يضم هذا الفصل ثلاثة قوانين من أكثر ما نحتاجه في الحياة اليومية — قوانين توجه سلوكنا، وتحفظ توازننا، وتمنعنا من الوقوع في أخطاء قد تكون مدمرة.

القانون السابع

قانون اليسر الدائم



فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ◆ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥٠﴾ - سورة الانشراح: ٥-٦



هاتان الآيتان من أكثر الآيات القرآنية أثرًا في النفوس المثقلة. لكن المعجزة البلاغية في هاتين الآيتين:
لا يراها إلا من يعرف العربية

السرّ البلاغي المذهل

قال العلماء: في العربية، حين يتكرر الاسم النكرة مرتين — يكون الثاني غير الأول. أما حين يتكرر الاسم
المعرفة — يكون واحدًا

العُسْر "في الآيتين جاء معرفًا بـ"ال" — فهو واحد. أما "يُسْر" فجاء نكرةً في الموضعين — فيدل على أن
مع كل عُسْرٍ يُسْرَيْنِ

تأمل | المعادلة: عُسْرٌ واحد + يُسْرَيْنِ. أين الخسارة هنا؟ لا خسارة — ما دامت الآخرة تُحتسب ◆

"مع" — وليس "بعد"

لاحظ الحرف الجليل: لم تقل الآية "بعد العُسْر يُسْر" — بل "مع العُسْر يُسْر". أي أن اليسر لا ينتظر
— على الجانب الآخر من النفق — بل يسير معك داخل النفق ذاته. البذرة التي تُزْرَع في أرض القحط
هي نفسها التي ستُزهر حين يأتي المطر

قانون الحياة

هذا القانون الكوني يقول: لم يخلق الله ليلاً بلا فجر، ولا شتاءً بلا ربيع، ولا كسراً بلا التئام. العسر شرط اليسر وليس عدوّه. الضغط الذي يكاد يسحقك هو نفسه الذي يُخرج منك ما لم تكن تعلم أنك تملكه.

واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن «
الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً» ﷺ — رواه الترمذي وصححه

القانون الثامن

قانون التبيين قبل الوعد



وَلَا تَقُولَنَّ لِّشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴿٢٣٣-٢٤﴾ - سورة الكهف



جاءت هذه الآية في سياق درس عملي كبير: لما سأل المشركون النبي ﷺ عن أهل الكهف فقال: سأخبركم غداً، وانتظر الوحي فتأخر - كان الدرس القرآني: لا تقطع وعداً دون استثناء المشيئة.

ليس مجرد تأدب لغوي

قد يظن بعضهم أن "إن شاء الله" مجرد تعبير أدبي أو عادة اجتماعية. لكن هذه الآية تجعلها قانوناً، وجودياً: أنت لا تملك الغد. أنت لا تملك قدرتك على الفعل في الغد. أنت لا تملك صحتك، ولا وقتك. ولا ظروفك. فحين تقول "سأفعل كذا إن شاء الله" - فهذا ليس تهرباً، بل إقرار بحقيقة وجودية.

قانون المسؤولية المتوازنة

هذا القانون لا يعني التهاون بالالتزامات. بل يعني: خطط بجد، والتزم بصدق، ثم استثنِ بإيمان. الإنسان المؤمن يعطي وعده بكامل النية والجهد، مع إدراك أنه ليس المتحكم في كل المتغيرات.

تأمل | الإنسان الذي يقول "سأفعل كذا بكل تأكيد دون استثناء" - إما مغرور بقوته، أو ناسٍ لمحدودية إرادته.

من قال إن شاء الله يتيقن وليس عادةً فقط - أعلن حربه على الغرور. - من فقه الاستثناء

القانون التاسع

قانون التواضع الحركي



وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ - سورة

الأنعام: ٣٧



ما الذي يقوله القرآن حين ينهى عن المشي بمرح؟ هل هو نهى عن الفرح بالحياة؟ بالقطع لا. المرح هنا يعني: الخيلاء والغرور والتكبر في المشية - وهو انعكاس حركي لحالة داخلية

الجسد مرآة النفس

علم النفس الحديث يؤكد ما قاله القرآن: طريقة المشي والحركة تعكس الحالة الداخلية للإنسان. والتكبر في المشية ليس مجرد عادة - بل هو تعبير جسدي عن نفس مريضة بالغرور

الحجة المنطقية القاطعة

ثم تأتي الحجة في ذات الآية بما هو أعمق من النهي المجرد: "إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا". أي: مهما تكبرت، فالأرض من تحتك وستكون فيها يوماً. ومهما علوت، فالجبال فوقك دائماً. أين موضع التكبر في هذا الكون؟

تأمل | التواضع ليس ضعفاً - بل هو أن ترى نفسك كما أنت حقاً في هذا الكون العظيم. ومن رأى ذلك ◆
بوضوح - استحي من الكبر

إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد ﴿٢٥٨﴾ - رواه مسلم

الفصل الرابع ♦ البقرة والذاريات والنجم

قوانين القدر والغاية والسعي



لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٣٩﴾ — سورة النجم: ٣٩



يتعامل هذا الفصل مع أعمق الأسئلة التي تشغل الإنسان: ما القدر؟ وما الغاية من الحياة؟ وما قيمة السعي؟ القرآن يجيب على هذه الأسئلة بقوانين واضحة لا تقبل اللبس.

القانون العاشر

الحكمة في الكراهية



وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ﴿٢١٦﴾ - سورة البقرة

البقرة: ٢١٦



هذه الآية من أكثر الآيات عزاءً في القرآن الكريم — لمن خسر وظيفة، أو فشل في مشروع، أو انهارت خطته، أو ردّ دعاؤه. وهي في الوقت ذاته من أكثر الآيات تحذيراً — لمن نال ما أراد دون أن يتأمل.

عسى — لطف إلهي في الصياغة

عسى "في العربية تفيد الترجي والإشارة — وليس الحتمية المطلقة. كأن الله يقول: افتح عقلك" للاحتتمالات، ولا تحصر حكمك على الأشياء في ما تراه ظاهراً.

المفارقة الوجودية

كم من إنسان فقد وظيفة فكانت بداية نجاحه الحقيقي. كم من علاقة انتهت فكانت فتح باب أفضل. كم من مرض أجبر صاحبه على إعادة ترتيب حياته فكانت أوفر صحة وسعادة مما كان عليه. وفي المقابل: كم من إنسان نال ما أراد فكان سبباً في هلاكه. ثروة فجأة فأفسدته. منصب مبكر فأغرقه. نجاح سريع فأنساه الطريق.

تأمل | لو رأى الإنسان بعين الله — لحمد على كل ما أعطي وكل ما منعه. لكننا نرى بأعين محدودة في زمن

محدود.

«عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سرّاء شكر فكان خيرا له «
وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له « صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — رواه مسلم

القانون الحادي عشر

قانون كونيّة الحياة الدنيا



وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ — سورة آل عمران: ١٨٥



هذه الآية من الآيات التي قد يفهمها البعض خطأً فيظن أن الإسلام يدعو إلى زهد مطلق في الحياة الدنيا ونبذها. لكن الحقيقة أعمق وأدق من ذلك بكثير.

"متاع الغرور" — ليس "شر"

الدنيا في القرآن لم تُوصَف بأنها شر — بل وُصفت بأنها "متاع الغرور". أي: أداة قد تغرّ صاحبها إذا أخذها غاية بدلاً من وسيلة. السيارة ليست شراً — لكن من جعلها غاية حياته وهويته فقد أضلّه المتاع الإسلام لا يُلغي الدنيا — بل يضعها في موضعها الصحيح: مزرعة للآخرة، ومجال للعمل والبناء، وفرصة للإحسان والشهادة.

قانون الأولويات

هذا القانون يعلمنا نظرة التدرّج: حين تضع الله أولاً والآخرة غايةً — لا تحتقر الدنيا، بل تتعامل معها بحكمة. تبني ولا تشغل، وتنتج ولا تُدمن، وتستمتع ولا تستعبد.

تأمل | أذكى من يتعامل مع الدنيا: من يُحسن استثمارها للآخرة. وأحمق من يتعامل معها: من جعلها كل شيء ◆
فلم يجن منها ولا من الآخرة شيئاً.

القانون الثاني عشر

قانون السعي الخالد



وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٣٩﴾ - سورة النجم: ٣٩



هذه الآية من أشد الآيات وضوحاً وعدلاً - فهي تضع ميزان الجزاء بكل صراحة: السعي أساس الاستحقاق. لكنها تحمل في طياتها قانوناً أعمق وأشمل.

إِلَّا مَا سَعَى - "الحصر المطلق"

حرف "إِلَّا" هنا للحصر: لا شيء يستحقه الإنسان حقاً من ذات سعيه إِلَّا سعيه. هذا لا يعني أنه لن يُعطى فضلاً أو رحمةً أو هدية - بل يعني أن ما يستحقه بكامل حقه هو ما سعى إليه.

السعي قانون كوني

لاحظ أن هذه الآية وردت في سورة النجم - التي تتحدث عن آفاق الكون وعن الوحي والغيب.

كأن القرآن يقول: قانون السعي ليس قانوناً اجتماعياً فحسب - بل هو قانون كوني مثل قوانين الجاذبية. الجهد يُنتج، والكسل يُفني، في كل مجال بلا استثناء.

وما توصّلوا إليه (Grit) قال علماء التربية الحديثة: ما يُشكّل الشخصية ليس الموهبة، بل الجهد المتراكم. في القرن الماضي أجمله القرآن في ستة كلمات.

لكن ماذا عن فضل الله؟

هذه الآية لا تتعارض مع فضل الله - بل تُكمله. السعي هو شرط الاستحقاق، وفضل الله هو الزيادة فوق الاستحقاق. من سعى ووثق برحمة الله - جمع بين القانون الكوني وفتح الرحمة الإلهية.

تأمل | أجمل صياغة: اسع كأنك لن تعان، وتوكل كأن كل شيء بيد الله. هذان القطبان هما الحياة الكاملة ♦

الفصل الخامس ♦ الانشراح والعصر

قوانين الزمن والاستمرار



فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ - سورة الانشراح: ٧



الفصل الأخير في هذا الكتاب يتناول قانونين من أكثر ما يُحدّد الفارق بين الناجحين والمتوقفين: قانون الاستمرار، وقانون ثمن الوقت.

القانون الثالث عشر

قانون الاستمرار الدائم



فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿١٧-١٨﴾ — سورة الانشراح



هذا القانون من أكثر القوانين القرآنية إثارةً للتأمل في سياقه. تحيّل: النبي ﷺ في أحلك لحظات الضغط، والقرآن يُعلّمه — وكل الأمة من بعده — هذا القانون الذي لا يعرف معنى الفراغ

النصب بعد الفراغ

فإذا فرغت — فرغت من ماذا؟ قال المفسرون: من الصلاة، من التعليم، من مهمة، من ارتفع عنها "عبء". فانصب — أي: لا تتوقف. انشب في عمل آخر، وانصب فيه

القانون هنا: النجاح ليس في بلوغ الغاية، بل في الاستمرار بعدها. كثير من الناس ينجحون في مشروع ثم يتوقفون، لأن النجاح نفسه صار هو الراحة. القرآن يقول: الراحة ليست في التوقف — بل في الانتقال إلى ما هو أرفع.

"وإلى ربك فارغب"

الآية لم تقل: وإلى عمل آخر فانصرف — بل قالت: "وإلى ربك فارغب". وهذا هو قلب القانون: كل نصب وكل استمرار ينبغي أن يكون موجّهاً نحو الله. العمل المنقطع عن الغاية الربانية يُتعب صاحبه دون أن يملأه.

تأمل | الإنسان الذي لا يجلس فارغ البال من المهوم وفارغ الوقت من العمل — هو الإنسان الذي يعيش
القرآن.

إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه » ﷺ - رواه البيهقي

القانون الرابع عشر

قانون الزمن الحَكَم



وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ ﴿١﴾

وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٢﴾ — سورة العصر: ١-٣



سورة العصر — ثلاث آيات فقط. وهي كافية وحدها لتكون دستوراً للإنسانية كلها. قال الإمام الشافعي: "لو تدبر الناس هذه السورة لكفهم". لماذا؟ لأنها تقدّم للإنسان صورة كاملة لوضعه في الكون، ثم تعطيه المخرج.

القَسَمُ بِالزَّمَنِ

أقسم الله بالعصر — بالزمن. وهذا القَسَمُ فيه تعظيم للوقت يفوق كل وصف. الوقت هو رأس المال الذي لا يُعَوَّضُ — من أضرّاه فقد أضرّاه كل شيء.

ثم جاء المُقَسَمُ عليه: "إن الإنسان لفي خسر" — ليس قد يكون في خسر، بل: هو في خسر بطبيعة حاله. إذا لم يفعل شيئاً. الخسارة هي الحالة الطبيعية للإنسان الساكن.

المخرج الرباعي

ثم يأتي الاستثناء المعجز بأربعة شروط لمن يخرج من دائرة الخسارة:

أولاً — الإيمان: اليقين الداخلي الذي يُعطي الحياة معنى واتجاهاً.

ثانياً — العمل الصالح: ترجمة الإيمان إلى فعل نافع.

ثالثاً – التواصي بالحق: البعد الاجتماعي – أن تحمل الآخرين على الحق

رابعاً – التواصي بالصبر: الثبات على الطريق حين تشتد العقبات

لماذا الأربعة مجتمعة؟

الملاحظ أن السورة لم تكتفِ باثنين أو ثلاثة – بل اشترطت الأربعة. لأن الإيمان دون عمل: تصوّف

فارغ. والعمل دون إيمان: تعب ضائع. والاثنان دون تواصٍ: فردية منعزلة. والثلاثة دون صبر: جهد

يتفتّت عند أول عقبة.

تأمل | سورة العصر هي أقصر دستور للنجاح في التاريخ البشري. تعلّمها. عِشها. ♦

– كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يتفرّق اثنان منهم حتى يقرأ أحدهم على الآخر سورة العصر «عَصْرٌ»

رواه الطبراني

الوقت سيف: إن لم تقطعه قطعك. والعاقل يجعل كل ساعة تُحاسب أمام ربّ يُحصي الأنفاس". – من حكم

الزمن



الخاتمة



رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ - سورة الكهف

هذا الكتاب لم يُكتب ليُغني عن القرآن - كُتب ليدفعك إليه

فإذا قرأت هذه الصفحات وازداد شوقك إلى كتاب الله، فقد بلغ الكتاب غايته

وإذا أضاءت لك فكرة أو هدأ قلبك عند آية - فتلك نعمة من الله، وليست فضلاً لصاحب هذه

الكلمات.

الجزء القادم من السلسلة:

"السماء ذات الرجوع"

فيزياء الكون في القرآن الكريم - حيث تلتقي الآيات الكونية بأحدث اكتشافات علم الفلك والفيزياء



د. خالد عبدالنعم فندي

أسوان - مصر ◆ 1446 هـ / 2026 م

مجموعة فندي للابتكار | Honest Fendy Innovations